نفيسة المرادية

جارية شركسية ، ارتفعت فى مجتمعها أعلى مكانة

وقفت أمام القصر الشامخ تملأ منه العينين ، وقد أخذتها روعته ، وانتشت بعبير ورود حدائقه ، وما حوت من أزاهير متعددة الألوان ، وندت عن شفتيها صرخة خفيفة ، وتخيلت دوحه الباسق ، ونخلاته العالية ، كأنها مردة تحيط بأحد القلاع فى إحدى حكايات عجائز قريتها .

وعندما بدأت ـــ مع مثيلاتها من الرقيق المستجلب من بلاد التتار والكرج وبلاد الأناضول وغيرها ـــ تخطو خطواتها الأولى داخل القصر ، نسيت تصوراتها وأحلامها الأولى ، وبدأت تحيا فى حلم من ضباب شفاف كساها غلالة من غموض ، نسيت معها مشاق الرحلة الطويلة ، من أرض نشأتها إلى مصر وما لابس هذه الرحلة من ظروف ومفاجآت ، وهى جارية لا حول لها ولا طول ، تنتقل من يد تاجر إلى آخر ، حتى رسا بها المطاف ، فى سوق الجوارى الشركس بالموسكى حيث اشتراها رجال على بك سنجق الشرقية .

وأيقنت أنها تدخل الجنة ذات السرر المرفوعة ، والنمارق المصفوفة ، والزرابى المبثوثة ، ولكنها عندما سمعت صوتا رقيقا يفتح باب مقصورتها الخاصة ، دارت بها الأرض من الرهبة ، وراحت فى إغماءة طويلة .